تأليف

أ. مُحَمَّد عَبْدْ العزيز قَبَادُو

"جَنَّةُ حَسَّان"

رواية للأَطْفال

الطبعة الأولى

يونيو 2010

بسم الله الرحمن الرحيم

تَقْديمُ الرِّوَايَة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَن الرَّحِيم وَ الصَّلاة وَ السَّلامُ عَلَى أَشْرَف المُرْسَلين وَ عَلَى آله وَ صَحْبِه أجْمَعين. أُقدِّم لَكُم رِوَايَة "جَنَّة حَسَّان" وَ هي رِوَايَة للأَطْفَال أُحَاوِل مِنْ خِلالِها تَبْلِيغَ بَعْض المَعَاني وَ المَبَادِئ الجَمِيلَة في الحَيَاة للأَطْفَال وَ النَّاشِئَة حَتَّى يَتَرَبُّوا عَلَيْها. مِنْ هَذِهِ المَعَانِي حُبُّ العَمَلِ وَ الخَيْرِ، التَّفَاؤُل، الإيجَابِيَّة، حُبُّ الطَّبِيعَة وَ الشَّجَرَةِ وَ الحِرْصُ عَلَى زِرَاعَتِهَا، وَ أخيرا رَدُّ الإِسَاءَةِ بِالإِحْسان.

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ مُحَمَّد عَبْدُ العَزِيز قَبَادُو

الطبعة الأولى: 1431هـ - 2010م

رجاءً التَّقيُّد بالحقوق المحفوظة أصولاً، دولياً وعالمياً.. ونذكِّر أيضاً بالتالي:

يمنع طبع هذا الكتاب، أو أيَّ جزءٍ منه لأهداف تجارية (بكافة الطرق) مثل الطبع والتصوير والنقل الإلكتروني الضوئي أو التسجيل المرئي، أو غيرها من الوسائل القديمة والحديثة إلا بموجب أذن خطِّي من الكاتب حسب الأصول المرعية قطرياً وَ دولياً لجميع الحقوق المحفوظة

mohamedkabadou@yahoo.fr

إهداء

أُهْدِي هَذِهِ الرِّوَايَةَ لِكُلِّ طِفْلٍ.

وأُهْدِيهَا لِكُلِّ مَنْ يَحْتَفِظُ بِنَظْرَةٍ إِيجَابِيَّةٍ لِلْحَيَاةِ.

المُؤَلِّف: أ. مُحَمَّد عَبْدُ العَزِيز قَبَادُو

mohamedkabadou@yahoo.fr

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذِهِ حِكَايَةُ حَسَّان، وَحِيدُ أَبَوَيْهِ. مَاتَ وَالِدَاهُ فِي حَادِثٍ وَ هُوَ فِي سِنِّ العَاشِرَةِ فَتَوَلَّى عَمُّهُ تَرْبِيَتَهُ. كَانَ عَمُّهُ رَجُلًا طَيِّبًا وَدُودًا وَ لَكِنَّ زَوْجَتَهُ كَانَتْ سَلِيطَةَ اللِّسَانِ وَ سَيِّئَةَ الخُلُقِ. كَانَتْ تُعَامِلُهُ بِقَسْوَةٍ فَتَأْمُرُهُ بِأَنْ يَقُومَ بِكَافَّةِ أَعْمَالِ المَنْزِلِ المُتْعِبَةِ وَ الشَّاقَّةِ. كَانَ حَسَّان يُنَظِّفُ البَيْتَ وَ المَزْرَعَةَ وَ يَرْعَى الأَغْنَامَ وَ يَذْهَبُ لِلسُّوقِ فِي حِينِ كَانَ أَوْلَادُهَا مُدَلَّلِينَ وَ مُرْتَاحِينَ فَكَانَ حَسَّان يَخْدِمُ الجَمِيعَ.

لَمْ يَكُنْ حَسَّان يَأْكُلُ مَعَ أَوْلَادِ عَمِّه بَلْ تُجْبِرُهُ زَوْجَةُ عَمِّهِ عَلَى أَنْ يَأْكُلَ بَعْدَهُم فَهُوَ الَّذِي يَقُومُ عَلَى خِدْمَتِهِمْ أَثْنَاءَ تَنَاوُلِهِمْ لِلطَّعَامِ. كَانَتْ زَوْجَةُ عَمِّه الشَّمْطَاءِ تَرْمِي لَهُ مَا تَبَقَّى مِنْ طَعَامِهَا، هِيَ وَ أَوْلَادُهَا.

لَمْ يَكُنْ عَمُّ حَسَّان بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُوَاجِهَ زَوْجَتَهُ المُتَسَلِّطَةَ الَّتِي لاَ تَتَوَرَّعُ عَلَى أَنْ تَنْهَالَ عَلَيْهِ بِوَابِلٍ مِنَ الشَّتَائِمِ فَكَانَ يَتَفَادَاهَا وَ يَسْكُتُ عَلَى إِسَاءَةِ مُعَامَلَتِهَا لِحَسَّان.

كَانَ حَسَّان يَشْعُرُ بِالظُّلْمِ وَ التَّفْرِقَةِ فِي المُعَامَلَةِ وَ كَانَ ذَلِكَ يَحِزُّ فِي نَفْسِهِ وَ لَكِنَّهُ كَانَ صَابِرًا، مُتَفَائِلاً بِأَنْ يَكُونَ الغَدُ أَفْضَل.

كَانَتْ لِحَسَّان مِعْزَةٌ اِسْمُهَا "حِنَّاء". سَمَّاهَا "حِنَّاء" لأَنَّ لَوْنَهَا كَانَ أَحْمَرًا كَلَوْنِ الحِنَّاء.

صورة 1: "حنَّاء" معزة حسَّان

و كَانَ لحَسَّان أيْضًا حِمَارٌ اِسْمُهُ "العَنِيد" وَ قَدْ سَمَّاهُ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ كَثِيرًا مَا يَعْنَدُ فَيَرْفُضُ التَّقَدُّمَ وَ السَّيْرَ وَ لاَ يَتَحَرَّكُ مِنْ مَكَانِهِ أَبَدًا مَهْمَا فَعَلْتَ لَهُ كَمَا كَانَ يُحِبُّ اللَّعِبَ كَثِيرًا وَ لاَ يُحِبُّ العَمَلَ أَبَدًا.

صورة 2 : "العَنِيد" حمار حسَّان وَ هو يتمرغ وَ يلهو كعادته

لَقَدْ اِسْتَطَاعَ حَسَّان أَنْ يَحْتَفِظَ بِحِنَّاء وَ بالعَنِيد وَ هُمَا مِنْ إِرْثِ وَالِدِهِ الَّذِي اِسْتَوْلَتْ زَوْجَةُ عَمِّهِ عَلَى أَكْثَرِهِ. لَقَدْ اِسْتَوْلَتْ عَلَى ذَهَبِ وَالِدَتِهِ وَ بَقِيَّةِ الأَشْيَاءِ الثَّمِينَةِ مِنَ الإِرْثِ. لَمْ يَقْدِرْ حَسَّان عَلَى أَنْ يُوَاجِهَهَا وَ أَنْ يُطَالِبَ

بِإِرْثِهِ. لَقَدْ تَرَكَتْ لَهُ زَوْجَةُ عَمِّهِ المِعْزَةَ لِأَنَّهَا كَانَتْ صَغِيرَةً وَ لاَ تَدُرُّ الحَلِيبَ كَمَا كَانَتْ هَزِيلَةً وَ كَثِيرَةَ المَرَضِ، وَ تَرَكَتْ لَهُ الحِمَارَ لِأَنَّهُ كَانَ عَنِيدًا مُتْعِبًا فَكَانَا مِنْ نَصِيبِهِ وَ أَصْبَحَا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ أَفْضَلُ أَصْدِقَائِهِ. كَانَ يُقَضِّي مَعَهُمَا أَكْثَرُ أَوْقَاتِ فَرَاغِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يُكُنْ يَحْظَى مِنْ زَوْجَةُ عَمِّهِ وَ لا أَبْنَاءِهَا إِلاَّ عَلَى التَّعالِي وَ الاِسْتِكْبَارِ.

لَمْ تَكُنْ زَوْجَةُ عَمِّ حَسَّان تَسْتَمِعُ لِنَصَائِحِ الجِيرَانِ وَ رَجَائِهِمْ بِأَنْ تُحْسِنَ مُعَامَلَةَ الوَلَدِ اليَتِيمِ، بَلْ كَانَتْ تَدَّعِي بِأَنَّهَا تُعَانِي مِنْ سُوءِ أَخْلاَقِهِ وَ كَثْرَةِ الْمَشَاكِلِ الَّتِي يُثِيرُهَا فِي البَيْتِ. لَقَدْ كَانَتْ تَدَّعِي أَنَّهَا مَظْلُومَةٌ وَ أَنَّهَا تُضَحِّي بِرَاحَتِهَا مِنْ أَجْلِ رِعَايَةِ هَذَا الوَلَدِ اليَتِيمِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ "سُوءِ أَخْلاَقِهِ". لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الجِيرَانِ يُصَدِّقُهَا لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ طِبَاعِهَا جَيِّدًا فَلَمْ يَسْلَمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنْ شَرِّهَا وَ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا قَادِرِينَ عَلَى فِعْلِ أَيِّ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِ هَذَا الوَلَدِ المِسْكِينِ.

عَاشَ حَسَّان فِي بَيْتِ عَمِّهِ أَرْبَعَةَ سَنَوَاتٍ كَامِلَةٍ ذَاقَ فِيهَا الأَمَرَّيْنِ وَ عَانَى مِنْ الظُّلْمِ وَ قِلَّةِ العَطْفِ. وَ فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ وَ بَيْنَمَا كَانَ يَتَجَوَّلُ فِي إِحدى شَوَارِعِ القَرْيَةِ إِذْ بِهِ يَسْمَعُ أَحَدَهُم يُنْشِدُ البَعْضَ مِنْ شِعْرِ المُتَنَبِّي وَ شَدَّ اِنْتِبَاهَهُ البَيْتُ القَائِل:

"وَ مَا مُقَامِي بِأَرْضِ نَخْلَةَ إِلاَّ * كَمُقَامِ المَسِيحِ بَيْنَ اليَهُودِ".**

تَرَكَ هَذَا البَيْتُ مِنْ الشِّعْرِ فِي نَفْسِهِ أَثَرًا كَبِيرًا وَ لَمْ يُمْسِ إِلاَّ وَ قَدْ عَزَمَ عَلَى الهِجْرَةِ مِنْ بَلْدَتِهِ. لَقَدْ نَفِدَ صَبْرُهُ وَ لَمْ يَعُدْ يُطِيقُ بِأَنْ يُوَاصِلَ العَيْشَ فِي بَيْتِ عَمِّهِ، فَقَرَّرَ أَنْ يَرْحَلَ وَ يَبْحَثَ عَنْ رِزْقِهِ فِي مَكَانٍ آخَرَ وَ أَنْ يَبْدَأَ حَيَاةً جَدِيدَةً بَعْدَ أَنْ يَئِسَ نِهَائِيًّا مِنْ تَحَسُّنِ مُعَامَلَةِ زَوْجَةِ عَمِّهِ وَ عَطْفِهَا عَلَيْهِ.

عِنْدَمَا أَسْدَلَ اللَّيْلُ ظَلاَمَهُ، حَزَمَ حَسَّان أَمْتِعَتَهُ القَلِيلَةَ. لَمْ يَكُنْ مَعَهُ سِوَى رِدَاءَيْنِ وَ غِطَاءٍ مِنَ الصُّوفِ وَ طَبَقٍ مِنَ الخَشَبِ وَ قِرْبَةِ مَاءٍ وَ سِكِّينِ وَالِدِهِ. لَقَدْ تَزَوَّدَ مِنْ بَيْتِ عَمِّه بِبَعْضِ الخُبْزِ وَ الزَّيْتُونِ وَ التَّمْرِ وَ الفَاكِهَةِ وَ المَاءِ و اعْتَبَرَهَا كَأَجْرٍ، وَ لَوْ بَسِيطٍ، لَهُ عَنْ أَرْبَعَةِ سَنَوَاتٍ مِنَ العَمَلِ المُضْنِي وَ بِدُونِ مُقَابِلٍ. أَخَذَ حَسَّان مِعْزَتَهُ "حِنَّاء" وَ حِمَارَهُ "العَنِيد" وَ حَمَّلَ أَمْتِعَتَهُ عَلَيْهِ وَ غَادَرَ القَرْيَةَ فَجْرًا قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ الجَمِيعُ وَ مِنْ دُونِ أَنْ يُعلِم أَحَدًا مِنْ أَهْلِهِ.

عِنْدَمَا اِسْتَيْقَظَتْ عَائِلَةُ عَمِّهِ وَ لَمْ تَجِدْهُ زَوْجَهُ عَمِّهِ الشَّمْطَاءَ اِدَّعَتْ عَلَيْهِ بَاطِلاً بِأَنَّهُ سَرَقَ أَمْوَالَهَا وَ ذَهَبَهَا وَ هَرَبَ. كَانَتْ هَذِهِ آخِرُ إِسَاءَةٍ تَرْتَكِبُهَا هَذِهِ المَرْأَةُ السَّيِّئَةُ فِي حَقِّهِ عَلَى الرُّغْمِ مِنْ أَنّهُ غَادَرَ البَيْتَ مِنْ دُونِ مَشَاكِلَ. لَقَدْ كَذِبَتْ وَ لَفَّقَتْ لِحَسَّان قِصَّةَ السَّرِقَةِ هِذِهِ حَتَّى تُقْنِعَ الجَمِيعَ بِأَنَّ حَسَّانَ وَلَدٌ سَيِّءٌ وَ بِأَنَّهَا ضَحِيَّةُ سُوءِ خُلُقِهِ وَ بِأَنَّهُ لَمْ يَهْرَبْ مِنْ سُوءِ مُعَامَلَتِهَا كَمَا يَظُنُّ الجَمِيعُ بَلْ هُوَ نَاكِرٌ لِلْجَمِيلِ. كَانَتْ هَذِهِ هِيَ أَخْلاَقُهَا وَ طِبَاعُهَا وَ مَا بِالطَّبْعِ لاَ يَتَغَيَّرُ.

عِنْدَمَا غَادَرَ حَسَّانُ قَرْيَتَهُ لَمْ تَكُنْ لَهُ وِجْهَةٌ مُحَدَّدَةٌ أَوْ مَقْصَدٌ وَاضِحٌ. تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَ دَعَاهُ أَنْ يُوَجِّهَهُ خَيْرًا وَ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَ رِزْقًا خَيْرًا مِنْ رِزْقِهِ. هَامَ عَلَى وَجْهِهِ أَيَّامًا عَدِيدَةً. يَأْكُلُ مِنْ زَادِهِ وَ يَشْرَبُ مِنْ حَلِيبِ"حِنَّاء" فِي حِينِ تَأْكُلُ دَوَابُّهُ مِنْ الأَعْشَابِ القَلِيلَةِ المُتَوَفِّرَةِ فِي الطَّرِيقِ. كَانَ حَسَّان يَحْتَفِظُ بِبُذُورِ الفَاكِهَةِ لَعَلَّهُ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا لاَحِقًا فَيَأْكُلُهَا.

طَالَ السَّفَرُ بِحَسَّان أَيَّامًا عَدِيدَةً وَ اِبْتَعَدَ جِدًّا عَنْ قَرْيَتِهِ. لَقَدْ نَفِدَ مَاءُهُ وَ شَحَّ زَادُهُ وَ بَدَأَ الجُوعُ وَ خَاصَّةً العَطَشُ يُرْهِقُهُ كَمَا أَرْهَقَ دَوَابَّهُ أَيْضًا. لَقَدْ بَدَأَتْ شَفَتَاهُ تَتَشَقَّقُ مِنَ العَطَشِ وَ الحَرِّ. و فِي عَصْرِ أَحَدِ الأَيَّامِ وَ بَيْنَمَا

هُوَ يَمْشِي وَ الشَّمْسُ تَلْفَحُ وَجْهَهُ وَ يَجُرُّ رِجْلَيْهِ جَرًّا مِنْ فَرْطِ التَّعَبِ وَ العَطَشِ وَ الجُوعِ، إِذْ لاَحَظَ مِنْ بَعِيدٍ بِئْرًا.

صورة 3 : حسّان يلمح البِئْر المهجورة من بعيد

اِسْتَبْشَرَ حَسَّان خَيْرًا وَ ظَنَّ بِأَنَّهُ سَيَجِدُ مَاءً بِهَا فَأَسْرَعَ يَحُثُّ خُطَاهُ وَ يَسْحَبُ دَوَابَّهُ المُنْهَكَةَ. عِنْدَمَا وَصَلَ حَسَّان إِلى البِئْر وَجَدَهَا مَهْجُورَةً وَ قَدْ تَهَدَّمَ جُزْءٌ مِنْ سُورِهَا وَ فُقِدَ دَلْوُهَا. لَقَدْ ظَنَّ رُوَّادُ هَذِهِ البِئْر أَنَّ مَاءَهَا شَحَّ فَهَجَرُوهَا كَمَا هَجَرُوا المِنْطَقَةَ كُلَّهَا فَخَرِبَتْ القَرْيَةُ المُجَاوِرَةُ لِلْبِئْر وَ صَارَتْ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ.

صورة 4 : حسّان يستكشف البِئْر المهجورة عن قرب

نَظَرَ حَسَّان إِلى قَاعِ البِئْر فَإِذَا بِهِ يَلْمَحُ بَرِيقًا ظَنَّ أَنَّ عَطَشَهُ الشَّدِيدَ هُوَ الَّذِي صَوَّرَهُ لَهُ. هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِالبِئْر مَاء؟ اِلْتَقَطَ حَجَرًا وَ رَمَا بِهِ فِي قَاعِ البِئْر وَ أَنْصَتَ بِانْتِبَاهٍ لِصَوْتِ هَذَا الحَجَرِ وَ هُوَ يَرْتَطِمُ بِالقَاعِ. أَرْهَفَ السَّمْعَ فَإِذَا بِهِ يَسْمَعُ صَوْتَ المَاءَ.

فَرِحَ حَسَّان كَثِيرًا بِصَوْتِ المَاءِ فَكَانَ أَجْمَلَ صَوْتٍ سَمِعَهُ فِي حَيَاتِهِ. بَحثَ عَنْ الدَّلْوِ فَلَمْ يَجِدْهُ فَقَرَّرَ أَنْ يَصْنَعَ وَاحِدًا وَ لَكِنْ كَيْفَ؟

أَخْرَجَ حَسَّان طَبَقَهُ الخَشَبِيَّ وَ أَحْدَثَ بِجَوَانِبِهِ العُلْيَا ثَلاَثَةَ ثُقُوبٍ مُسْتَعْمِلاً فِي ذَلِكَ سِكِّينَهُ ثُمَّ أَخَذَ الحَبْلَ الَّذِي كَانَ يَلْجُمُ بِهِ "العَنِيد" وَ رَبَطَهُ بِالطَّبَقِ فَأَصْبَحَ يُشْبِهُ الدَّلْوَ. أَدْلاَهُ فِي البِئْرِ وَ اسْتَخْرَجَ المَاءَ. شَرِبَ بِنَهَمٍ شَدِيدٍ فَكَانَ المَاءُ يَنْسَكِبُ بِغَزَارَةٍ عَلَى صَدْرِهِ وَ عَلَى الأَرْضِ حَتَّى بَلَّلَ جُلَّ مَلاَبِسِهِ. إِنَّ مَاءَ البِئْرِ بَارِدٌ وَ عَذْبٌ فُرَاتٌ. شَرِبَ حَتَّى اِرْتَوَى وَ حَمَدَ اللهَ كَثِيرًا ثُمَّ سَقَى "حِنَّاء" وَ العَنِيد ثُمَّ أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى سُورِ البِئْرِ بَعْدَمَا كَادَ يَهْلَكُ مِنْ شِدَّةِ العَطَشِ. لَقَدْ عَادَتْ الرُّوحُ إِلَيْهِ وَ إِلَى دَوَابِّهِ.

نَظَرَ حَسَّان مِنْ حَوْلِهِ فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا صَحْرَاءَ جَرْدَاءَ لاَ شَيْءَ يُذْكَرُ فِيهَا سِوَى بَعْضِ الأَعْشَابِ الَّتِي بِالكَادِ تَسُدُّ رَمَقَ دَوَابِّهِ. كَانَتْ هُنَاكَ أَيْضًا طَرِيقٌ تَسْلُكُهُ القَوَافِلُ عَلَى مَرْمَى البَصَرِ مِنْ مَكَانِ البِئْرِ.

لَقَدْ أَخَذَ التَّعَبُ مِنْ حَسَّان مَأْخَذًا عَظِيمًا فَعَضَلاَتُهُ تُؤْلِمُهُ وَ رِجْلاَهُ قَدْ تَشَقَّقَتْ مِنْ طُولِ المَشْيِ وَ أَذَى الحِجَارَةِ وَ الأَشْوَاكِ الَّتِي كَانَتْ تَخْتَرِقُ نَعْلَيْهِ المُتَهَرِّئَيْنِ. لَقَدْ قَرَّرَ حَسَّان أَنْ يَبْقَى فِي هَذَا المَكَانِ لِأَيَّامَ مَعْدُودَةٍ يَسْتَعِيدُ فِيها نَشَاطَهُ وَ عَافِيَتَهُ. هُنَا، عَلَى الأَقَل، يَتَوَفَّرُ المَاءُ وَ مَازَالَ لَدَيْهِ بَعْضُ التَّمْرِ كَمَا أَنَّ "حِنَّاء" سَتَدُرُّ عَلَيْهِ الحَلِيبَ الَّذِي يَكْفِيهِ إِذَا مَا اِرْتَوَتْ وَ أَكَلَتْ جَيِّدًا. لَدَيْهِ مَا يَكْفِيهِ مِنَ الزَّادِ لِبِضْعَةِ أَيَّامٍ. أَقَامَ حَسَّان خَيْمَةً صَغِيرَةً اِصْطَنَعَهَا مِنْ غِطَاءِهِ وَ مِنْ بَعْضَ الأَغْصَانِ وَ الأَعْوَادِ.

كَانَ اللَّيْلُ قَدْ جَنَّ بِظَلاَمِهِ عَلَى المِنْطَقَةِ عِنْدَمَا أَكْمَلَ حَسَّان نَصْبَ خَيْمَتِهِ الصَّغِيرَةِ فَدَخَلَهَا وَ نَامَ طَوِيلاً.

أَيْقَظَتْ أُولَى أَشِعَّةُ الشَّمْسِ حَسَّان وَ مَنَعَتْهُ مِنْ أَنْ يَنَامَ أَكْثَر. مَلَأَ دَلْوَهُ مِنَ البِئْرِ وَ اِسْتَحَمَّ ثُمَّ شَرِبَ وَ أَكَلَ بَعْضَ التَّمرَاتِ وَ حَمَدَ الله كَثِيرًا عَلَى نِعْمَتِهِ ثُمَّ صَلَّى وَ جَلَسَ يُفَكِّرُ فِي مَصِيرِهِ.

تَدَافَعَتِ الأَسْئِلَةُ فِي ذِهْنِهِ: "كَيْفَ سَأَعِيشُ الآنَ؟ مِنْ أَيْنَ لِي بِالرِّزْق؟ زَادِي أَوْشَكَ عَلَى النَّفَادِ وَ لَمْ يَعُدْ يَكْفِينِي إِلاَّ لِأَيَّامَ مَعْدُودَاتٍ وَ لَيْسَ لِي مِنْ مَوْرِدٍ آخَرَ فَالمِنْطَقَةُ جَرْدَاءَ لاَ شَجَرَ وَ لا طَيْرَ. لاَ يُوجَدُ هُنَا سِوَى هَذِهِ البِئْر وَ هَذِهِ الطَّرِيقُ البَعِيدَةُ المُقْفِرَةُ."

أَطْرَقَ طَوِيلًا يُفَكِّرُ ثُمَّ تَفَطَّنَ لِأَمْرٍ: "لِمَ لاَ أَبِيعُ مَاءَ البِئْرِ لِلْقَوَافِلِ الَّتِي تَمُرُّ مِنَ الطَّرِيقِ القَرِيبِ وَ أَبْتَاعُ مِنْهَا مَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ؟ فَالنَّاسُ دَائِمًا بِحَاجَةٍ مَاسَةٍ إِلَى المَاءِ."

لَمْ يُبْطِئْ حَسَّان فِي تَنْفِيذِ فِكْرَتِهِ، فَحَمَّلَ حِمَارَهُ بِقِرْبَةِ المَاءِ وَ بِطَبَقِهِ وَ انْطَلَقَ نَحْوَ الطَّرِيقِ. جَلَسَ لِسَاعَاتٍ يَنْتَظِرُ مُرُورَ أَحَدٍ مِنَ المُسَافِرِينَ وَ لَكِنْ مِنْ دُونِ جَدْوَى. نَفِدَ صَبْرُهُ مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَ يَئِسَ مِنْ مُرُورِ النَّاسِ بِهِ وَ بَيْنَمَا كَانَ يَهِمُّ بِالعَوْدَةِ لِخَيْمَتِهِ لَمَحَ هَيْئَةَ جِمَالٍ قَادِمَةٍ منْ بَعِيدً. وَقَفَ حَسَّان وَ جَالَ بِبَصَرِهِ فِي الأُفُقِ يَتَبَيَّنُ حَقِيقَةَ القَادِمِ. "نَعَمْ إِنَّهَا قَافِلَةٌ كَبِيرَةٌ!" لَقَدْ دَبَّ الأَمَلُ مِنْ جَدِيدٍ فَي قَلْبِهِ.

اِنْتَظَرَ حَسَّان القَافِلَةَ وَ لَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ عَرَضَ عَلَى أَصْحَابِهَا المَاءَ فَاشْتَرَوْهُ مِنْ عِنْدِهِ بِسِعْرٍ جَيِّدٍ. لَقَدْ أَوْشَكَ مَائُهُم أَنْ يَنْفَدَ فَهُمْ لَمْ يَقِفُوا بِبِئْرٍ مُنْذُ أَيَّامَ طَوِيلَةٍ. اِبْتَاعَ مِنْهُمْ بَعْضَ الأَكْلِ وَ رَجَعَ إِلَى خَيْمَتِهِ سَعِيدًا وَ قَدْ اِطْمَئَنَّ لِرِزْقِ يَوْمِهِ وَ رُبَّمَا لِأَيَّامَ أُخْرَى.

كَانَ حَسَّان يُكَرِّرُ نَفْسَ العَمَلِ، فِي كُلِّ يَوْمٍ، وَ صَارَ يَبِيعُ المَاءَ لِلْقَوَافِلِ وَ هُوَ مَصْدَرُ رِزْقِهِ الوَحِيدِ الَّذِي يُمَكِّنُهُ مِنَ الحَيَاةِ بِالكَادِ.

صورة 5 : أخيرا ظهرت قافلة كبيرة عند غروب الشمس و بعد طول انتظار

فِي يومٍ مِنَ الأَيَّامِ وَ بَيْنَمَا كَانَ يُنَظِّفُ أَمْتِعَتَهُ سَقَطَتْ البُذُورُ الَّتِي كَانَ يَحْتَفِظُ بِهَا فِي رِحْلَتِهِ، بِجَانِبِ البِئْرِ وَ دَاسَهَا بِرِجْلِهِ مِنْ دُونِ أَنْ يَتَفَطَّنَ لِذَلِكَ عِنْدَمَا كَانَ يَمْلَأُ المَاءَ فَغَطَّاهَا التُّرَابُ. كَانَ كُلَّمَا مَلَأَ دَلْوَهُ إِلَّا وَ كَانَ لِهَذِهِ البُذُورِ نَصِيبٌ مِنَ المَاءِ المُنْسَكِبِ. بَعْدَ فَتْرَةٍ رَبَتْ الأَرْضُ وَ اِنْشَقَّتْ وَ أَنْبَتَتْ البُذُورُ نَبَاتَاتٍ صَغِيرَةٍ خَضْرَاءَ يَانِعَةً. اِنْتَبَهَ حَسَّان لِظُهُورِ هَذِهِ النَّبَاتَاتِ فَسُرَّ بِهَا أَيَّمَا سُرُورٍ وَ قَرَّرَ أَنْ يَعْتَنِيَ بِهَا وَ يَرْعَاهَا. لَقَدْ جَمَعَ بَعْضَ الأَحْجَارِ وَ أَحَاطَهَا بِهَا حَتَّى لاَ تَأْكُلَهَا "حِنَّاء" وَ العَنِيد. لَقَدْ صَارَتْ هَذِهِ النَّبَاتَاتُ رَفِيقَهُ الثَّانِي إِلَى جَانِبِ دَوَابِّهِ. اِسْتَغْرَبَ حَسَّان وَ تَسَائَلَ عَنْ مَصْدَرِ هَذِهِ النَّبَاتَاتِ وَ سُرْعَانَ مَا فَهِمَ أَنَّ البُذُورَ الَّتِي سَقَطَتْ سَهْوًا مِنْ مَتَاعِهِ هِيَ الَّتِي أَنْبَتَتْهَا. لَقَدْ قَرَّرَ أَنْ يَزْرَعَ كُلَّ البُذُورِ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ وَ كُلَّ البُذُورِ الَّتِي سَيَحْصَلُ عَلَيْهَا مُسْتَقْبَلًا فَكَانَ لاَ يَمْضِي يَوْمٌ وَاحِدٌ إِلاَّ وَ قَدْ زَرَعَ العَدِيدَ مِنْهَا.

وَ فِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي وَ بَيْنَمَا كَانَ حَسَّان يَسْتَعِدُّ لِلنَّوْمِ إِذْ بِهِ يَسْمَعُ حَرَكَةً غَرِيبَةً خَارِجَ خَيْمَتِهِ الصَّغِيرَةِ وَ يَسْمَعُ أَصْوَاتَ العَنِيدِ وَ "حِنَّاء" تَرْتَفِعُ فَجْأَةً

فِي ذُعْرٍ. خَرَجَ مُسْرِعًا مُتَسَلِّحًا بِعَصَا غَلِيظَةٍ وَ بِسِكِّينِهِ فَإِذَا بِهِ يُجَابِهُ ذِئْبًا كَبِيرًا أَسْوَدَ اللَّوْنِ، غَزِيرَ الشَّعْرِ، تَلْمَعُ عَيْنَاهُ تَحْتَ ضَوْءِ البَدْرِ وَ تَتَلَأْلَأُ أَنْيَابُهُ الحَادَّةُ المُرْعِبَةُ في حِينِ يَسِيلُ اللُّعَابُ مِنْ فَمِهِ بِغَزَارَةٍ. كَانَ العَنِيدُ يَقْفِزُ رَافِعًا قَوَائِمَهُ الخَلْفِيَّةَ مُحَاوِلًا رَكْلَ الذِّئْبِ بِهَا بَيْنَمَا كَانَتْ "حِنَّاءُ" تَقْفِزُ فِي كُلِّ مَكَانٍ دُونَ أَنْ تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ.

صورة 6 : الذئب المُفترس يستعد للانقضاض عَلَى حسَّان

تَجَمَّدَ الدَّمُ فِي عُرُوقِ حَسَّان وَ لَمْ يَدْرِ مَاذا يَفْعَلُ. إِنَّ الذِّئْب يُوشِكُ أَنْ يَنْقَضَّ عَلَى "حِنَّاء" وَ العَنِيد وَ أَنْ يَأْكُلَ أَحَدَهُمَا أَو كِلَيْهِمَا وَ بِذَلِكَ سَيَفْقِدُ حَسَّان سَنَدَهُ وَ فِي نَفْسِ الوَقْتِ خَافَ حَسَّان عَلَى نَفْسِهِ فَالذِّئْب يُمْكِنُ أَنْ

يُهَاجِمَهُ وَ يَأْكُلَهُ هُوَ أَيْضًا. فَكَّرَ حَسَّان بِسُرْعَةٍ وَ قَالَ فِي نَفْسِهِ " لَوْ تَرَكْتُ الذِّئْب يَأْكُلُ دَوَابِّي اللَّيْلَةَ فَإِنَّهُ سَيَشْبَعُ وَ رُبَّمَا يَتْرُكُنِي الآنَ وَ لَكِنَّهُ سَيَعُودُ لِي غَدًا لِيَفْتَرِسَنِي وَ بِالتَّالِي يَجِبُ أَنْ أَتَصَدَّى لَهُ فَوْرًا وَ لِيَكُنْ مَا يَكُون فَإِمَّا أَنْ أَحْيَا أَنَا وَ دَوَابِي أَوْ نَهْلَكَ اللَّيْلَةَ مَعًا."

أَحْكَمَ حَسَّانُ قَبْضَةَ يَمِينِهِ عَلَى عَصَاهِ وَ قَبْضَةَ شِمَالِهِ عَلَى سِكِّينِهِ وَ تَقَدَّمَ مِنَ الذِّئْب صَائِحًا مُحَاوِلًا إِفْزَاعَهُ وَ لَكِنَّ الذِّئْب لَمْ يَخَفْ مِنْ حَرَكَاتِ حَسَّان وَ لَمْ يَهْرَب أَوْ حَتَّى يَتَرَاجَع بَلْ عَلَى العَكْسِ لَقَدْ اِلْتَفَتَ إِلَيْهِ وَ دَارَ بِجِسْمِهِ نَحْوَهُ وَ هُوَ يَرْمُقُهُ بِعَيْنَيْنِ بَرَّاقَتَيْنِ. ثَنَى الذِّئْب رُكْبَتَيْهِ فَأَيْقَنَ حَسَّان بِأَنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَضَّ عَلَيْهِ فَاسْتَعَدَّ الوَلَدُ جَيِّدًا وَ قَرَّرَ أَنْ يَضْرِبَهُ بَيْنَمَا يَكُونُ الذِّئْب طَائِرًا فِي الهَوَاءِ فِي حَالَةِ الوَثْبِ فَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ يَكُونُ أَقَلَّ اِتِّزَانًا. ثَنَى الذِّئْب رُكْبَتَيْهِ أَكْثَرَ ثُمَّ وَثَبَ عَلَى حَسَّان وَثْبَةً عَالِيَةً طَوِيلَةً حَتَّى تَجَاوَزَ اِرْتِفَاعُهُ طُولَ حَسَّان. رَفَعَ الوَلَدُ رَأْسَهُ إِلَى الأَعْلَى مُتَابِعًا وَثْبَةَ الذِّئْب وَ اِنْتَظَرَهُ حَتَّى وَصَلَ مَرْمَى عَصَاه ثُمَّ ضَرَبَهُ بِهَا ضَرْبَةً قَوِيَّةً. اِرْتَطَمَتْ العَصَا بِرَأْسِ الذِّئْب الَّذِي كَانَ صَلْبًا كَالحَجَرِ. غَيَّرَتْ الضَّرْبَةُ مِنْ مَسَارِ الذِّئْب فَسَقَطَ يَتَأَلَّم وَ يَعْوِي عَلَى يَسَارِ حَسَّان وَ قَدْ بَدَأَ أَنْفُهُ يَنْزِفُ الدَّمَ بِغَزَارَةٍ. اِسْتَغَلَّ حَسَّان فُرْصَةَ سُقُوطِ الذِّئْب وَ صَدْمَتِهِ وَ تَأَلُّمِهِ فَارْتَمَى عَلَيْهِ بِسِكِّينِهِ وَ أَنْبَتَهَا بَيْنَ ضُلُوعِهِ فَانْتَفَضَ الذِّئْبُ بِقُوَّةٍ مُسْقِطًا حَسَّان عَلَى الأَرْضِ وَ حَاوَلَ الهَرَبَ وَ لَكِنَّ السِّكِّينَ بَقِيَتْ مَغْرُوسَةً بَيْنَ ضُلُوعِهِ وَ كَانَتْ تَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَبْتَعِدَ كَثِيرًا حَتَّى سَقَطَ مِنْ جَدِيدٍ مُسْتَسْلِمًا لِلْمَوْتِ.

بَقِيَ حَسَّان يُرَاقِبُ الذِّئْبَ مِنْ بَعِيدٍ مُتَخَوِّفًا مِنْ أَنْ يُعَاوِدَ النُّهُوضَ مِنْ جَدِيد وَ يُهَاجِمَهُ وَ لَكِنَّ سُكُونَ الذِّئْبِ طَالَ وَ اِنْقَطَعَ عُوَاءُهُ وَ قَدْ سَالَ مِنْهُ دَمٌ

كَثِيرٌ. اِقْتَرَبَ حَسَّان مِنْهُ فِي حَذَرٍ مُتَسَلِّحًا بِعَصَاه وَ عِنْدَمَا وَصَلَ بِالقُرْبِ مِنْهُ وَكَزَهُ بِها فَلَمْ يَسْتَجِبْ. وَكَزَهُ مَرّةً ثَانِيَةً فَلَمْ يَسْتَجِبْ أَيْضًا، عِنْدَهَا اِطْمَئَنَّ حَسَّان وَ أَيْقَنَ بِأَنَّ الذِّئْبَ قَدْ مَاتَ. بَقِيَ يُرَاقِبُ هَذَا الذِّئْبَ الضَّخْمَ ذُو المَخَالِبِ الكَبِيرَة وَ الأَنْيَابِ الحَادَّةِ وَ لَمْ يُصَدِّقْ بِأَنَّهُ نَجَحَ فِي قَتْلِ هَذَا الوَحْشِ المُفْتَرِسِ الَّذِي يَفُوقُهُ حَجْمًا وَ وَزْنًا. حَمَدَ حَسَّان اللهَ كَثِيرًا عَلَى أَنّهُ أَنْجَاهُ وَ أَنْجَا دَوَابّهُ مِنْ بَرَاثِنِ هَذَا الوَحْشِ اللَّئِيمِ. نَزَعَ سِكِّينَهُ مِنْ بَيْنِ ضُلُوعِ الذِّئْبِ وَ مَسَحَهَا عَلَى جِلْدِهِ وَ رَجَعَ إِلَى دَوَابّهِ يَمْسَحَ عَلَيْهَا بِيَدَيْهِ لِيُهدِّئَ مِنْ رَوْعِهَا ثُمَّ دَخَلَ خَيْمَتَهُ وَ حَاوَلَ أَنْ يَنَامَ وَ لَكِنْ لَمْ يَغْمَضْ لَهُ جَفْنٌ فِي تِلْكَ اللَّيْلَة فَكَانَتْ صُورَةُ الذِّئْبِ بِأَنْيَابِهِ الحَادَّةِ وَ مَخَالِبِهِ لاَ تُفَارِقُ خَيَالَهُ كَمَا أَنّهُ كَانَ خَائِفًا جِدًّا مِنْ هُجُومِ ذِئْبٍ أَوْ ذِئَابٍ أُخْرَى فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الذِّئَابَ تُهَاجِمُ فِي مَجْمُوعَاتٍ وَ لَيْسَ فُرَادَى فَكَانَ مَفْزُوعًا مُتَوَجِّسًا. كَانَتْ اللَّيْلَةُ بَارِدَةً أَيْضًا فَزَادَ ذَلِكَ مِنْ أَرَقِهِ وَ لَمْ يَسْتَسْلِمْ لِلنَّوْمِ إِلاَّ قَبْلَ الفَجْرِ بِقَلِيلٍ.

اِسْتَيْقَظَ حَسَّانُ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ كَعَادَتِهِ وَ كَانَ مُرْهَقًا مِمَّا عَانَاهُ لَيْلَةَ البَارِحَةِ. بَدَأَ يُفَكِّرُ فِي مَوْضُوعِ سَلاَمَتِهِ: "لَقَدْ نَجَحْتُ وَ لِلَهِ الحَمْدُ فِي التَّصَدِّي لِهَذَا الذِّئْبِ بِأُعْجُوبَةٍ وَ لَكِنْ مَا كُلُّ مَرَّةٍ تَسْلَمُ الجَرَّة فَلَوْ هَاجَمَهُ ذِئْبَانِ أَوْ ثَلاَثَة فِي نَفْسِ الوَقْتِ لَكَانَتْ مَزَّقَتْهُ إِرَبًا وَ لَمْ يَكُنْ بِقَادِرٍ عَلَى صَدِّهَا. فَمَاذَا عَسَاهُ أَنْ يَفْعَلْ؟ وَ كَيْفَ سَيُؤَمِّنُ نَفْسَهُ وَ دَوَابَّهُ مِنَ الوُحُوشِ المُفْتَرِسَةِ؟".

بَقِيَ حَسَّان يُفَكِّرُ وَ هُوَ يَمْلأُ المَاءَ فَخَطَرَتْ بِبَالِهِ فِكْرَةٌ. لِمَاذَا لَا يَبْنِي كُوخًا مِنَ الحَجَرِ وَ الأَخْشَابِ يَكُونُ مَتِينًا يَقْدِرُ أَنْ يَحْتَمِيَ بِهِ بِاللَّيْلِ هُوَ وَ دَوَابّهُ

وَ يَرُدُّ الوُحُوشَ عَنْهُ. وَ لَنْ يَكُونَ مُضْطَرًّا لِلْخُرُوجِ وَ مُوَاجَهَتِهَا بِنَفْسِهِ. وَ لَكِنْ مِنْ أَيْنِ لَهُ بِالمَوَادِ فَالمَكَانُ شِبْهُ خَالٍ.

تَذَكَّرَ حَسَّان القَرْيَةَ المَهْجُورَةَ وَ قَالَ فِي نَفْسِهِ :" لاَ بُدَّ وَ أَنَّ فِي القَرْيَةِ المَهْجُورَةِ أَنْقَاضُ بُيُوتٍ وَ بَقَايَا مَوَادٍ يُمْكِنُ لِي أَنْ أَسْتَعْمِلَهَا كَخَامَاتٍ فِي بِنَاءِ كُوخِي."

تَحَرَّكَ حَسَّان بِسُرْعَةٍ صَوْبَ القَرْيَةِ المَهْجُورة وَ بِالفِعْلِ وَجَدَ بِهَا بَعْضَ البُيُوتِ الخَاوِيَةِ عَلَى عُرُوشِهَا. مَرَّ حَسَّانُ بِهَذِهِ البُيُوتِ وَ أَخَذَ يَجْمَعُ مِنْهَا مَا يُسَاعِدُهُ عَلَى البِنَاءِ. كَانَ يَحْمِلُ هَذِهِ المَوَادِ عَلَى ظَهْرِ العَنِيد وَ يَحْمِلُ مَا خَفَّ مِنْهَا عَلَى كَتِفِهِ وَ يَرْجِعُ بِهَا إِلَى جَانِبِ البِئْرِ.

صورة 7 : أطلال القرية المهجورة

قَامَ حَسَّان بِهَذِهِ الرِّحْلَةِ، مَا بَيْنَ القَرْيَةِ المَهْجُورَةِ وَ البِئْرِ، مِرَارًا وَ تِكْرَارًا حَتَّى تَعِبَ وَ خَارَتْ قُوَاهُ.

أَسْنَدَ حَسَّانُ ظَهْرَهُ إِلَى البِئْرِ وَ أَخَذَ يَسْتَرِيحُ وَ يَشْرَبُ المَاءَ وَ يَسْكُبُ البَعْضَ مِنْهُ عَلَى رَأْسِهِ. نَظَرَ إِلَى المَوَادِ الَّتِي جَمَعَهَا فَوَجَدَهَا كَثِيرَةً وَ يُمْكِن أَنْ تَفِي بِالغَرَضِ. قَرَّرَ أَنْ يَبْدَأَ أَعْمَالَ البِنَاءِ بَعْدَ الإِسْتِرَاحَةِ.

نَظَرَ حَسَّانُ بِاتِّجَاهِ مَكَانِ مَعْرَكَةِ البَارِحَةِ فَوَجَدَ جُثَّةَ الذِّئْبِ فِي مَكَانِهَا فَفَزِعَ مِنْهَا وَ عَاوَدَتْهُ ذِكْرَيَاتُ المَعْرَكَةِ المُخِيفَةِ. قَرَّرَ حَسَّانُ أَنْ يَبْدَأَ بِدَفْنِ هَذَا الذِّئْبِ قَبْلَ أَنْ تَنْتَنَ جُثَّتُهُ وَ تَجْلِبَ الحَشَرَاتِ وَ الحَيَوَانَاتِ الَّتِي تَأْكُلُ الجِيَفَ.

حَفَرَ حَسَّانُ حُفْرَةً عَمِيقَةً لِيَرْمِي فِيها الذِّئْبَ. قَبْلَ أَنْ يَدْفَعَ حَسَّانُ بالذِّئْبِ فِي الحُفْرَةِ خَطَرَتْ بِبَالِهِ فِكْرَةٌ. لِمَاذَا لَا يَسْتَفِيدُ مِنْ فَرْوِ هَذَا الذِّئْبِ فَهُو كَبِيرٌ وَ سَمِيكٌ وَ دَافِئٌ يَقِيهِ مِنْ بَرْدِ اللَّيْلِ وَ الشِّتَاءِ. اِسْتَلَّ سِكِّينَهُ وَ بَدَأَ يَسْلَخُ ذَلِكَ فَرْوَ الذِّئْبِ حَتَّى نزَعَهُ بالكَامِلِ ثُمَّ رَمَى بِالجُثَّةِ فِي الحُفْرَةِ وَ دَفَنَهَا تَحْتَ التُّرَابِ. فَرَشَ حَسَّانُ الفَرْوَ عَلَى الرَّمْلِ وَ نَزَعَ الدَّمَ مِنْهُ ثُمَّ ثَبَّتَ أَطْرَافَهُ بِالحِجَارَةِ حَتَّى يَجِفَّ تَمَامًا وَ يُصْبِحُ صَالِحًا كَمَلْبَس.

عَادَ حَسَّانُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى مَوَادِهِ وَ بَدَأَ يَعْمَلُ بِجِدٍّ وَ ذَكَاءٍ فَكَانَ يُقِيمُ فِي البِدَايَةِ الأَخْشَابَ الكَبِيرَةَ وَ الطَّوِيلَةَ فَيَجْعَلُ مِنْهَا قَوَائِمَ وَ أَعْمِدَةً لِلْكُوخِ وَ يَرْبِطُهَا فِيمَا بَيْنَهَا بِالحِبَالِ، ثُمَّ يَرْصِفُ الحِجَارَةَ فِيمَا بَيْنَهَا وَ كَانَ يَسْتَعْمِلُ الطِّينَ وَ هُوَ الرَّمْلُ المَخْلُوطُ بِالمَاءِ وَ القَشِّ لِيَصِلَ بَيْنَ الأَحْجَارِ وَ يَسِدُّ الثَّغَرَاتَ بَيْنَهَا.

اِرْتَفَعَ البِنَاءُ حَتَّى وَصَلَ اِرْتِفَاعُهُ إِلَى غَايَةِ وَسَطِ حَسَّان عِنْدَمَا أَسْدَلَ اللَّيْلُ ظَلَامَهُ فَقَرَّرَ أَنْ يَتَوَقَّفَ عَلَى البِنَاءِ لِيَسْتَكْمِلَ ذَلِكَ فِي الغَدِ.

أَدْخَلَ حَسَّانُ دَوَابَّهُ إِلَى الكُوخِ وَ جَعَلَ عَصَاهُ وَ سِكِّينَهُ بِجَانِبِهِ وَ بَدَأَ يَحْرُسُ وَ يَتَوَقَّعَ حُضُورَ ذِئَابٍ أُخْرَى فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ أَيْضًا وَ لَكِنْ سُرْعَانَ

مَا ثَقُلَتْ جُفُونُهُ وَ اِسْتَسْلَمَ لِنَوْمٍ عَمِيقٍ مِنْ جَرَاءِ تَعَبِ اليَوْمِ وَ قِلَّةِ نَوْمِ البَارِحَةِ. مِنْ حُسْنِ حَظِّ حَسَّان أَنَّ الذِّئَابَ لَمْ تُهَاجِمْهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَ تَرَكَتْهُ يَنَامُ بِهُدُوءٍ.

فِي اليَوْمِ المُوَالِي وَاصَلَ حَسَّانُ البِنَاءَ فَوَاصَلَ رَفْعَ الجُدْرَانِ حَتَّى فَاتَ اِرْتِفَاعُهَا طُولَ قَامَتِهِ ثُمَّ ثَبَّتَ فَوْقَهَا الأَخْشَابَ الطَّوِيلَةَ وَ رَصَفَهَا بِعِنَايَةٍ الوَاحِدَةُ مُلَاصِقَةٌ لِلأُخْرَى فَصَنَعَ مِنْهَا سَقْفًا مَتِينًا وَ لَكِنَّ أَشِعَّةَ الشَّمْسِ ضَلَّتْ تَتَسَلَّلُ مِنْ بَيْنِ الشُّقُوقِ وَ الفَجَوَاتِ الصَّغِيرَةِ بَيْنَ الأَخْشَابِ. لَمْ يَتَبَقَّى الآنَ سِوَى البَابُ. عَادَ حَسَّانُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى القَرْيَةِ المَهْجُورَةِ وَ بَحَثَ فِي بَقَايَا البُيُوتِ عَنْ أَبْوَابٍ أَوْ أَجْزَاءَ مِنْهَا تَفِي بِالغَرَضِ. عَثَرَ حَسَّانُ عَلَى بَقَايَا بَابَيْنِ مُهَشَّمَيْنِ فَأَخَذَ الأَلْوَاحَ الصَّالِحَةَ فِيهِمَا وَ جَمَعَ بَيْنَهَا فَصَنَعَ مِنْهَا بَابًا جَدِيدًا مَتِينًا. كَانَ حَسَّانُ يَقْتَلِعُ المَسَامِيرَ القَدِيمَةَ المُعْوَجَّةَ فَيُقَوِّمُهَا وَ ذَلِكَ بِأَنْ يُطَرِّقَهَا بِحَجَرٍ صَلْبٍ ثُمَّ يَسْتَعْمِلَهَا لِرَبْطِ الأَلْوَاحِ بِبَعْضِهَا البَعْضِ. كَانَ حَسَّانُ بَارِعًا فِي اِسْتِعْمَالِ كُلِّ مَا يَجِدُهُ حَوْلَهُ وَ يَسْتَفِيدُ مِنْهُ إِلَى أَقْصَى حَدٍّ وَ لَمْ يَسْتَسْلِمْ أَبَدًا لِلظُّرُوفِ وَ لَمْ يَيْأَسْ أَبَدًا.

ثَبَّتَ حَسَّانُ البَابَ وَ كَمْ كَانَتْ فَرْحَتُهُ كَبِيرَةً وَ هُوَ يَسْتَكْمِلُ كُوخَهُ الصَّغِيرَ. الآنَ اِكْتَمَلَ الكُوخُ فَهَا هُوَ يَقْدِرُ أَنْ يَنَامَ بِكُلِّ هُدُوءٍ وَ أَمَانٍ وَ لَا يَخَافَ بَطْشَ الذِّئَابِ أَوْ السِّبَاعِ. سَيُغْلِقُ بَابَ كُوخِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَ لَنْ يَكْتَرِثَ لِأَمْرِ الوُحُوشِ فِي الخَارِجِ.

بَعْدَ تَعَبِ العَمَلِ وَ نَشْوَةِ الاِنْتِصَارِ وَ النَّجَاحِ أَدْخَلَ حَسَّانُ دَوَابَّهُ لِلْكُوخِ وَ أَقْفَلَ عَلَى نَفْسِهِ البَابَ لِيَنَامَ قَلِيلًا وَ يَرْتَاحَ لِفَتْرَةِ القَيْلُولَةِ. شَعَرَ حَسَّانُ بِدِفْءِ الكُوخِ وَ جُدْرَانِهِ وَ سَقْفِهِ الَّتِي ذَكَّرَتْهُ بِأَحْضَانِ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ الدَّافِئَةِ. لَقَدْ اِشْتَاقَ لِأَيَّامِ طُفُولَتِهِ الأُولَى عِنْدَمَا كَانَ يَنَامُ قَرِيرَ العَيْنِ فِي بَيْتِهِ وَ تَحْتَ

رِعَايَةِ وَ حِمَايَةِ وَ عَطْفِ وَالِدَيْهِ. فَكَّرَ لِلَحْظَةٍ فِي أَنْ يَعُودَ لِبَيْتَ عَمِّهِ عَلَّهُ يَجِدُ شَيْئًا مِنَ دِفْءِ العَائِلَةِ لَكِنَّهُ سُرْعَانَ مَا عَدَلَ عَنْ هَذِهِ الفِكْرَةِ بَعْدَمَا تَذَكَّرَ قَسْوَةَ زَوْجَةَ عَمِّهِ وَ أَبْنَاءَهَا وَ تَيَقَّنَ أَنَّ قَسْوَةَ الصَّحْرَاءِ وَ الذِّئَابِ أَقَلُّ وَطْأَةٍ مِنْ قَسْوَةِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ فَقَرَّرَ أَلَّا يَعُودَ.

نَامَ حَسَّانُ قَرِيرَ العَيْنِ فِي كُوخِهِ وَ لَمْ يُوقِظْهُ سِوَى طَرْقٍ عَلَى البَابِ." تُرَى مَنْ يَكُونُ الطارق؟ إِنَّهُ أَوَّلُ زَائِرٍ لِي مُنْذُ وَصَلْتُ إِلى هُنَا". فَتَحَ حَسَّانُ البَابَ فَإِذَا بِهِ يَجِدُ أَحَدَ التُّجَّارِ الَّذِينَ تَعَوَّدُوا عَلَى شِرَاءِ المَاءِ مِنْ عِنْدِهِ وَاقِفًا بِالبَابِ.

- **التَّاجِر:** لَقَدْ أَرَدْنَا شِرَاءَ بَعْضِ المَاءِ كَعَادَتِنَا عِنْدَمَا نَمُرُّ مِنْ هَذِهِ المِنْطَقَةِ وَ لَمْ نَجِدْكَ. لَقَدْ نَفِدَ مَاءُنَا فَاضْطُرِرْنَا إِلَى أَنْ نَبْحَثَ عَنْكَ وَ لَقَدْ لَمَحْتُ مِنْ بَعِيدٍ هَذَا الكُوخَ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ لَكَ وَ هَا قَدْ صَدَقَ حَدْسِي. هَلْ لَنَا بِبَعْضِ المَاءِ؟
- **حَسَّان:** (مُتَبَسِمًا) نَعَم بِكُلِّ سُرُورٍ. هَاتِ قِرَابَكَ وَ سَأَمْلَئُهَا لَكَ فِي الحَالِ.

أَخَذَ حَسَّان القِرَابَ وَ مَلَأَهَا مَاءً وَ اِسْتَلَمَ مِنَ التَّاجِرِ بَعْضَ القِطَعِ النَّقْدِيَّةِ مُقَابِلَهَا. هَذِهِ أَوَّلُ مَرَّةٍ يَسْتَلِمُ فِيهَا حَسَّانُ مَالاً. كَانَ فِي السَّابِقِ يَسْتَلِمُ أَكْلًا مُقَابِلَ مَاءِهِ. سُرَّ حَسَّان بِهَذِهِ النُّقُودِ فِي البِدَايَةِ وَ لَكِنَّهُ سُرْعَانَ مَا تَفَطَّنَ إِلى أَنَّهَا لَا تُفِيدُهُ فِي شَيْءٍ فِي المَكَانِ الخَالِي الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ فَلَا مَحَلَّاتٍ وَ لَا تُجَّارٍ يَقْدِرُ أَنْ يَشْتَرِيَ مِنْ عِنْدِهِمْ مُقَابِلَ هَذِهِ الدَّرَاهِمِ القَلِيلَةِ. وَضَعَهَا فِي جَيْبِهِ عَلَى أَمَلِ أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْهَا فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ.

كَانَتْ هَذِهِ أَوَّلُ مَرَّةٍ يَأْتِي المُسَافِرُونَ إِلَى كُوخِ حَسَّان لِلتَّزَوُّدِ بِالمَاءِ وَ لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ الأَخِيرَةَ فَلَقَدْ تَعَوَّدَتْ القَوَافِلُ أَنْ تَقِفَ عِنْدَ بِئْرِ حَسَّان وَ تَتَزَوَّدَ

بِالمَاءِ وَ تُرِيحَ جِمَالَهَا وَ خُيُولَهَا حَتَّى أَصْبَحَ كُوخُ حَسَّان وَ بِئْرَهُ اِسْتِرَاحَةً مَعْرُوفَةً تَتَوَقَّفَ فِيهَا كُلُّ القَوَافِلِ. اِسْتَغَلَّ حَسَّانُ ذَلِكَ أَحْسَنَ اِسْتِغْلَالٍ فَبَدَأَ يَبِيعُ وَ يَشْتَرِي مِنْ عِنْدِ القَوَافِلِ بَعْضَ السِّلَعِ وَ يُقَدِّمُ لِلتُّجَّارِ بَعْضَ الخَدَمَاتِ كَإِعْدَادِ بَعْضِ الأُكْلَاتِ أَوْ الشَّايِ حَتَّى أَنَّهُ حَوَّلَ كُوخَهُ الصَّغِيرَ إلى بِقَالَةٍ يَجِدِ فِيهَا المُسَافِرُ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَإِنَّكِ قَدْ تَجِدُ عِنْدَ حَسَّانٍ حَتَّى بَعْضَ الأَدْوِيَةِ الشَّائِعَةِ.

كَبُرِتْ تِجَارَةُ حَسَّان مَعَ الوَقْتِ وَ كَثُرَ مَالُهُ فَمِنْ بَعْضِ الدَّرَاهِمِ الَّتِي سَلَّمَهَا لَهُ التَّاجِرُ أَوَّلَ مَرَّةٍ صَارَتْ لَدَيْهِ ثَرْوَةٌ لاَ بَأْسَ بِهَا وَ صَارَ يُوصِي القَوَافِلَ بِأَنْ تَجْلِبَ لَهُ سِلَعًا لِحِسَابِهِ يُخَزِّنُهَا فِي كُوخِهِ ثُمَّ يَبِيعُهَا لِقَوَافِلَ أُخْرَى تَأْتِي مِنْ الجِهَةْ المُعَاكِسَةِ لِلطَّرِيقِ.

اِشْتَرَى حَسَّانُ فِي إِحْدَى المَرَّاتِ بَعْضَ المَاعِزِ وَ الغَنَمِ وَ قَرَّرَ تَرْبِيَتَهَا وَ سُرْعَانَ مَا زَادَ عَدَدُهَا وَ تَكَاثَرَتْ لِتُصْبِحَ قَطِيعًا جَمِيلًا يَسُرُّ النَّاظِرِينَ.

مَرَّتْ السَّنَوَاتُ وَ تَعَلَّمَ حَسَّانُ فِيهَا التِّجَارَةَ وَ كَانَ بَارِعًا فِيهَا وَ لَكِنَّهُ لَمْ يَنْسَى عَادَتَهُ القَدِيمَةَ فِي زِرَاعَةِ الأَشْجَارِ فِي كُلِّ يَوْمٍ. لَقَدْ اِتَّسَعَتْ بُقْعَةُ الاِخْضِرَارِ حَوْلَ كُوخِ حَسَّان وَ طَالَتِ الأَشْجَارُ وَ كَثُرَتْ أَوْرَاقُهَا. أَصْبَحَتْ الظِّلَالُ وَارِفَةً تَحْتَهَا فَتَجِدُ القَوَافِلَ مَكَانًا تَحْتَ ظِلِّهَا تَسْتَرِيحُ فِيهِ وَ تَحْتَمِي بِهِ مِنْ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ الحَارِقَةِ.

صورة 8 : جانب من جَنَّة حَسَّان

بَدَأَتِ الأَشْجَارُ وَ النَّخِيلُ تَطْرَحُ ثِمَارَهَا فَيَأْكُلُ حَسَّانُ مِنْهَا مَا يَحْتَاجُهُ وَ يَبِيعُ مَا زَادَ عَنْ حَاجَتِهِ لِلْقَوَافِلِ.

كُلَّمَا زَادَتْ الأَشْجَارُ وَ الخُضْرَة إِلَّا وَ زَادَ حَمَاسُ حَسَّانَ عَلَى زَرْعِ المَزِيدِ وَ لَمْ تَمْضِي بِضْعُ سَنَوَاتٍ إِلَّا وَ صَارَتْ لَهُ جَنَّةٌ تَسُرُّ النَّاظِرِينِ وَ تَوَسَّعَتْ تِجَارَتُهُ فَصَارَ يَبِيعُ زِيادَةً عَنْ أَنْوَاعٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ الفَاكِهَةِ وَ الخُضَرِ، الحَطَبَ وَ الأَلْوَاحَ.

جَنَّتُهُ هَذِهِ، جَلَبَتْ الطُّيُورَ وَ الحَيَوَانَاتَ الَّتِي وَجَدَتْ فِيهَا وَكْرًا مُنَاسِبًا وَ مَصْدَرَ قُوتٍ جَيِّدٍ كَمَا اِتَّخَذَتْ النَّحْلُ مِنْ أَشْجَارِهَا بُيُوتًا لَهَا. لَمْ يَكُنْ حَسَّان لِيُصَدِّقَ أَنَّ كُلَّ هَذِهِ الخَيْرَاتِ حَلَّتْ مَكَانَ القِفَارِ وَ مَعَ هَذَا فَإِنَّهُ لَمْ يَتَوَقَّفْ يَوْمًا وَاحِدًا عَنْ زِرَاعَةِ الأَشْجَارِ بَلْ كَانَ كُلَّ يَوْمٍ يَزْرَعُ أَشْجَارًا جَدِيدَةً.

صورة 9 : اتخذ النحل من جنة حسان بيوتا له

لَمْ يَعُدْ حَسَّان بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَقُومَ بِكُلِّ العَمَلِ بِمُفْرَدِهِ فَالأَعْمَالُ كَثِيرَةٌ وَ تَتَطَلَّبُ وَقْتًا طَوِيلاً وَ مَجْهُودًا كَبِيرًا فَاقَ طَاقَتَهُ. اِقْتَرَحَ حَسَّانُ عَلَى بَعْضِ المُسَافِرِينَ أَنْ يَسْتَقِرُّوا فِي جَنَّتِهِ وَ يُسَاعِدُوهُ عَلَى العَمَلِ مُقَابِلَ أُجْرَةٍ يَدْفَعُهَا لَهُمْ وَ قَدْ وَافَقَ بَعْضُهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَ زَادَ عَدَدُهُمْ بِالتَّدْرِيجِ وَ كُلَّمَا زَادُوا فِي العَدَدِ إِلَّا وَ كَثُرَ إِنْتَاجُ الجَنَّةِ وَ اِزْدَهَرَتْ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ. أَصْبَحَ حَسَّانُ يُشْرِفُ عَلَى العُمَّالِ وَ يَقُومُ بِالحِسَابَاتِ وَ المُرَاقَبَةِ وَ لاَ يَعْمَلُ بِكِلْتَيْ يَدَيْهِ لَكِنَّهُ ظَلَّ مُحْتَفِظًا بِعَادَتِهِ القَدِيمَةِ اليَوْمِيَّةِ فِي زَرْعِ الأَشْجَارِ بِيَدِهِ.

لَمَّا رَأَى حَسَّانُ أَنَّ عَدَدَ الزُّوَّارِ فِي تَزَايُدٍ بَنَى لَهُمْ بَعْضَ الغُرَفِ يَنْزِلُونَ فِيهَا. وَ لَمْ يَعُدْ فَقَطْ زُوَّارُ هَذِهِ البُيُوتِ مِنَ القَوَافِلِ بَلْ صَارَ يَرْتَادُهَا أَيْضًا سُكَّانُ المُدُنِ المُزْدَحِمَةِ وَ البَاحِثِينَ عَنِ الهُدُوءِ وَ الطَّبِيعَةِ الجَمِيلَةِ.

ظَلَّ العُمَّالُ وَ التُّجَّارُ يَقْدِمُونَ إِلَى حَسَّان وَ يُقِيمُونَ بِجِوَارِ جَنَّتِهِ فَكَثُرَتْ المَحَلَّاتُ وَ تَنَوَّعَتْ فَمِنْهَا المَطْعَمُ وَ المَتْجَرُ وَ المَدْرَسَةُ وَ الحَدَّادُ وَ الجَزَّارُ...

وَصَلَتْ سُمْعَةُ هَذِهِ الجَنَّةِ إِلَى وَالِي المِنْطَقَةِ فَذَهَبَ إِلَيْهَا يَتَفَقَّدُهَا فَسُرَّ بِوُجُودِهَا وَ قَرَّرَ أَنْ يَمْنَحَ حَسَّانَ مِلْكِيَّةَ الأَرْضِ الَّتِي أُنْشِأَتْ عَلَيْهَا وَ شَجَّعَهُ عَلَى مَجْهُودِهِ وَ قَرَّرَ أَنْ يُسَمِّي هَذِهِ البَلْدَةِ الجَدِيدَةِ "جَنَّةُ حَسَّان".

تَزَوَّجَ حَسَّانُ مِنْ بِنْتِ أَحَدِ زُوَّارِ الجَنَّة وَ أَنْجَبَتْ لَهُ مِنَ الأَوْلاَدِ عَشَرَةً كَانَ أَصْغَرُهُمْ سِنًّا أَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ. لَقَدْ اِعْتَادَ أَنْ يَصْطَحِبَهُ كُلَّ يَوْمٍ لَمَّا يَذْهَبُ لِيَزْرَعَ أَشْجَارًا جَدِيدَةً فَتَعَلَّقَ الوَلَدُ بِأَبِيهِ وَ بِهَذِهِ العَادَةِ وَ صَارَ لاَ يُفَارِقُهُ أَبَدًا.

كَبُرَ حَسَّان وَ كَثُرَتْ أَمْرَاضُهُ حَتَّى تُوُفِّيَ تَارِكًا إِرْثًا ثَمِينًا يَنْتَفِعُ مِنْهُ الآلاَفُ مِنْ النَّاسِ فَمِنْهُ يَسْتَرْزِقُونَ وَ فِيهِ يَعِيشُونَ وَ إِلَيْهِ يَأْوُونَ. لَكِنَّ أَوْلاَدَ حَسَّان بِاسْتِثْنَاءِ أَصْغَرِهِمْ سِنًّا أَرَادُوا أَنْ يَسْتَمْتِعُوا بِأَمْوَالِهِمْ فِي المَدِينَةِ الكَبِيرَةِ وَ يُنْفِقُوهَا عَلَى شَهَوَاتِهِمْ دُونَ أَنْ يُفَكِّرُوا فِي تَطْوِيرِ إِرْثِ أَبِيهِمْ أَوْ الاِسْتِفَادَةِ مِنْهُ. فَكَّرُوا فِي الاِسْتِهْلاَكِ وَ الاِسْتِمْتَاعِ بَدَلاً مِنْ الإِنْتَاجِ وَ التَّطْوِيرِ.

بَاعَ الأَوْلاَدُ حِصَّتَهُمْ فِي إِرْثِ أَبِيهِمْ وَ غَادَرُوا البَلْدَةَ نَحْوَ المَدِينَةِ الكَبِيرَةِ وَ أَنْوَارِهَا البَرَّاقَةِ مَا عَدَا أَخُوهُم الأَصْغَرْ الَّذِي ظَلَّ يَزْرَعُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَعَادَةِ أَبِيهِ أَشْجَارًا جَدِيدَةً وَ يَزْرَعُ آمَالاً جَدِيدَةً .

تمَّت بحمد الله

يَوْم الجمعة 11 يونيو 2010م

جدة –المملكة العربية السعودية

أ. مُحَمَّد عَبْد العَزِيز قَبَّاط

عضو هيئة تدريس بجامعة الملك عبد العزيز

جدة – المملكة العربية السعودية

قسم إدارة الأعمال

"**حِكَمُ حَسَّان**" رِوَايَةٌ لِلأَطْفَالِ، فِي سِنِّ مَا بَيْنَ العَاشِرَةِ وَ السَّادِسَةَ عَشْرَ، تُحَاوِلُ تَبْلِيغَ بَعْضَ المَعَانِي وَ المَبَادِئِ الجَمِيلَةِ فِي الحَيَاةِ لِلأَطْفَالِ وَ النَّاشِئَةِ حَتَّى يَتَرَبَّوا عَلَيْهَا. مِنْ هَذِهِ المَعَانِي حُبُّ العَمَلِ وَ الخَيْرِ، التَّفَاؤُلِ، الإِيجَابِيَّةِ، حُبُّ الطَّبِيعَةِ وَ الشَّجَرَةِ وَ الحِرْصِ عَلَى زِرَاعَتِهَا وَ رَدُّ الإِسَاءَةِ بِالإِحْسَانِ.

مُؤَلَّفَاتٌ أُخْرَى لِلْكَاتِبِ:

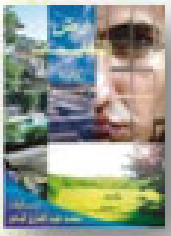

"شِيك ..شِيك"	"أرض التقلبات"
رِوَايَةٌ اجتماعية	رِوَايَةٌ بوليسية
مايو 2010م	فبراير 2007م

العنوان على الإنترنت : موقع "صيد الفوائد"

http://saaid.net/book/

للاتصال بالمؤلف وَ إبداء ملاحظاتكم أو اقتراحاتكم حول الرِوَايَةِ:

mohamedkabadou@yahoo.fr

جميع الحقوق محفوظة

يونيو 2010